الباب الرابع

عهد لينين وستالين

لينين والمسلمون والثورة البلشفية:

ذهب قائدُ الثورة البلشفية اليهودي لتحييد المسلمين الروس في ثورته هذه، بعد أن دغدغ مشاعرَهم بالحرية القادمة عليهم في حالة سقوط الحكم القيصري، الذي ذاقوا في ظله الويلات، لا سيما أنهم على الأرض الروسية يُمثّلون قاعدة جغرافية وسكانية عريضة، وهو بثورته هذه أدرك أهمية المسلمين في المرحلة الأولى من الثورة، فقد وجَّه خطابه الأول إلى المسلمين سنة ١٣٣٦هـ - ١٩١٧/١١/٢٢م بعد شهر واحد من الثورة، وقال فيه: يا مسلمي روسيا، يا مسلمي الشرق، أيها الرفاق، أيها الإخوة، ثُوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحرِّيتكم في العبادة، إننا هنا نُعلِن احتراماً لدينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة، إنا هنا نُعلِن احتراماً لمساجدكم، وإن عاداتكم وتقاليدكم محرَّمة لا يمكن المساس بها، ابنوا حياتكم الحرَّة الكريمة من دون أي مُعوِّقات، لكم الحق في ذلك، واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مَصُونةٌ بقوة الثورة.

وأعلن أن جميع الاتفاقيات المعقودة بين فرنسا وروسيا وبريطانيا لتقاسُمِ العالَمِ الإسلامي باطلةٌ ومُلغاة، وأن روسيا الثورة لا ترغب في احتلال القسطنطينية، بل ستظلُّ عاصمة الخلافة الإسلامية، وكذلك بالنسبة إلى اتفاق روسيا على تقاسم إيران مع بريطانيا فهو باطلٌ وملغًى وكبادرةٍ لحُسن النية مع المسلمين، قام بتسليم مصحف الخليفة عثمان

رضي الله عنه إلى ممثلي المسلمين في مؤتمر بيتروجراد، إضافة إلى كثير من الوثائق والمخطوطات الإسلامية النادرة، التي كانت من مقتنيات القياصرة، وقد روَّج الشيوعيون بين المسلمين أن ثورة لينين، إنما هي من عطاء تعاليم القرآن وشريعة الإسلام.

والشيوعيون فضحوا الاتفاق الثلاثي بين روسيا وبريطانيا وفرنسا على تقاسم المشرق العربي، ومنها فلسطين؛ حيث سيكون للكنيسة الأرثوذكسية حصة في فلسطين، لكن اليهود أصحاب العداء التقليدي مع هذه الكنيسة الشرقية، ولخطورة وجودِها على أرض فلسطين في تعطيل مشروع الدولة اليهودية على أرض فلسطين، ذهبوا إلى دفع البلاشفة اليهود للقيام بالثورة هذه ويوم أن حدث في روسيا الاضطرابات التي مهدت للثورة، كان لينين في ألمانيا هو وتروتسكي، وقصة القطار المغلق الذي نقل هؤلاء وكان يعبر البلاد التي يمر فيها القطار؛ بحيث لا تفتح أبوابه ونوافذه يومها، بقصد وصول هذه المجموعة إلى بيتروجراد قاعدة الثورة؛ فالثورة في رسالتها وأهدافها ومعطياتها يهودية، بعد سرقة اليهود مخزون روسيا الذهبي، ونقله إلى الولايات المتحدة الأمريكية وطنهم القادم في التحكم في اقتصاد العالم، وقد تحقَّق لهم ذلك، فكل المؤرخين يُجمِعون على أن هذه الثورة كانت للثأر من اليهود على الحكم القيصري،وذلك فيما نزل بهم بعد اغتيالهم قيصر روسيا الكسندر

الثاني في ١٨١٨/٣/١م؛ حيث شهدت روسيا مذابح كبيرة لليهود، وأكبر هجرة يهودية إلى دول أوروبا؛ حيث أثقلت هجرتُهم حياة الأوروبيين، وضاقوا بهم ذرعاً، كما لا يغيب عن البال قتلُ شقيق لينين في موسكو سنة ١٨٨٥م، وهذا ما يؤكد أن الثورة ثأرية، إضافة لتعمُّد حكومة البلاشفة،إسقاط قضية الاغتيال من التاريخ في المرحلة السوفيتية.

الشيشان

عام ١٨٥٩ إمتلكت روسيا القيصرية أرض الشيشان كغنيمة لها من حربها مع الأتراك العثمانيون منهيةً بهذا حكم طويل لهم عليها وبادئةً لحكم آخر قمع كل حركات التمرد ضدها من زعماء محليين يفكرون في الإستقلال عن الأتراك والروس معاً لتستمر الأرض خاضعةً لهم حتى تفكك الإمبراطورية القيصرية بعد عام ١٩١٧ وإندلاع حرب أهلية في روسيا سهلت لبلاد مثل الشيشان وأرمينيا وجورجيا وأذربيجان الإنفصال الفوري لكن سرعان ما عادت للحكم الروسي في صيغته السوفيتية الجديدة لتتجدد المقاومة خاصةً مع حرص السوفييت على دمج الإقليم الصغير (٢٠ ألف كم) مع أقاليم مجاورة على رأسها أنجوشيا وتمر العقود بثورات لا تحقق نجاح حتى إنهيار السوفييت الذي جدد الأمل ليعلن طيار سوفيتي شيشاني يدعى جوهر دودابيف إستقلال الشيشان في ٦ سبتمبر ١٩٩١ ويعزز موقفه بهزيمة القوات الروسية في نوفمبر

١٩٩١ لتضطر روسيا للصمت وهي ترى الشيشان تنفصل عن أنجوشيا في ١٩٩٢ وتعلن نفسها دولة ذات سيادة عام ١٩٩٣ ، هنا وفي الفترة بين ١٩٩٣ و١٩٩٤ بدأت ملامح جديدة تطغى فالدول المسلمة الصديقة دعمت تيارات دينية سياسية بالمال لإنشاء دولة تحكم بالشريعة الإسلامية في وسط آسيا وبدأ المال والصوت العالي ينتشران سريعاً وسط تململ روسيا فهي لا يروق لها خسارة أرض غنية بالثروات وتراقب بقلق هذا المال الكثير وتلك الفكرة العجيبة التي تنتشر حول توحيد وسط آسيا في دولة إسلامية كبرى محكومة بالشريعة وسرعان ما بدأ القلق يتحول لخطر شديد مع إنتشار بعض المتطوعين العرب وزيادة الدعم بالمال لتقرر موسكو الحسم وتبدأ في ١١ ديسمبر ١٩٩٤ حملة عسكرية لإعادة السيطرة على البلاد .

استمرت الحرب مستعرة وسط إنتهاكات بالغة لحقوق الإنسان وإيذاء المدنيين من قبل الروس وتصاعد الغضب الإسلامي فى العالم حتى تحول الأمر لعلاقة طردية فكلما تصاعدت الأنباء عن المزيد من الجرائم الروسية كلما زادت دفعات المال الممنوحة للشيشانيين من دول بترولية ترافق هذا مع تدهور وضع القوات الروسية حتى إضطرت لعقد إتفاق سلام ثانوي في ٣١ أغسطس مع الشيشانيين ثم أقر بوريس يلستن بالهزيمة وسحب قوات بلاده في ٣١ ديسمبر ١٩٩٦ ، هنا أجد دوماً

علامة إستفهام كبيرة فالكثير منا لا يعرف أن الروس إنسحبوا من الشيشان عام ١٩٩٦ وأصبحت الشيشان دولة مستقلة عن روسيا ولم تكن روسيا تملك سبباً أو قدرة على البقاء .

بنهاية الحرب كان الرجل الأقوى في الشيشان هو أصلان مسخادوف أركان حرب جوهر دودابيف ورئيس وزراء نظامه الذي قتل في ابريل ١٩٩٦ على يد قوات روسية وإستطاع أصلان مسخادوف القومي الاتجاهات مدني الإتجاه السياسي الفوز بمنصب رئيس البلاد المنتخب في يناير ١٩٩٧ ليواجه الأزمة الكبرى.

كان شامل باسييف وإبن الخطاب أبرز رموز الحركة المسلحة ومعهم أمراء آخرون مستفيدين بدأوا في ممارسة عمليات مثل خطف الأجانب والابتزاز وقتل المدنيين الشيشانيين وغيرهم لدرجة قيام شامل بساييف أحد أبرز الرموز بقتل مدنيين جورجيين عام ١٩٩٣ فكان الأمر يتصاعد وينتشر وسط إرتباك في دوائر الدول الصغيرة صنعه نفس التيار الذي حرص على تقسيم البلاد تدعوا لتحكيم الشريعة بنهجهم الخاص وإعلان الشيشان إمارة إسلامية ، مع إستمرار الإضطرابات ومحاولات إغتيال متعددة لأصلان مسخادوف من قِبل الروس والإنفصاليين الشيشانيين لم يجد الأخير إلا أن يعلن في منتصف فبراير ١٩٩٩ عن قواعد شرعية للحكم في مقابل حل الميليشيات ووقف العنف وعمليات الاختطاف وتم

إنشاء محاكم إسلامية أقرت عقوبات الجلد والرجم وقطع الأطراف والأسوأ إغلاق برلمان الشيشان بإعتباره سلطه دنيوية ليست إسلامية ، كانت قرارات أصلان خاطئة فلم تتوقف تلك التيارات بل زادت بفعل زيادة الدعم الخارجي لها بحكم أنها نجحت في إجبار أصلان على هذا التغيير بل حدث الأسوأ ففي عام ١٩٩٨ تم تأسيس وحدة عسكرية عرفت بإسم اللواء الإسلامي الدولي تكونت من داجستانيين وشيشانيين منهم شامل بساييف وإبن الخطاب وأتراك وعرب وروس مسلمين كان هدفها هو طرد الروس من كامل القوقاز وتوحيده في بلد (إمارة) إسلامية كبرى وكان التمويل داعم لهذا العمل بشدة.

جاء عام ١٩٩٩ وعدد كبير من الهجمات المتتالية منذ ١٩٩٨ قد تم تفسيرها فاللواء الإسلامي قرر غزو داجستان ! نعم هكذا بكل بساطة قرر لواء من ٢٠٠٠ مقاتل غزو دولة مجاورة لضمها للحكم الإسلامي الشيشاني وإقامة خلافة إسلامية بالقوقاز كان هذا الأمر بخلاف عدم تناسقه مع قدرات الشيشان المحدودة يهمل تغيير هام جداً في السلطة الروسية ، بوريس يلستن صحته تتدهور والحاكم الفعلي هو شخص جديد إسمه فلاديمير بوتين كان يعارض فكرة التمدد الإسلامي بالقوقاز وكان هذا الخطأ لدى مقاتلي الشيشان سبباً رئيسياً لإعادة إحتلال الشيشان.

في ٤ أغسطس ١٩٩٩ بدأت جملعات إسلامية شيشانية واللواء الإسلامي الهجوم على الوحدات العسكرية الروسية في داجستان تمهيداً لطردها ثم السيطرة على كل البلاد المجاورة وإقامة الإمارة بالطبع كان بوتين سعيداً جداً بهذه القرارات فقد جعلته يدفع بيلتسن المريض -بتأثير إعلان الدولة الإسلامية في ١٠ أغسطس ١٩٩٩ بين الشيشان وداجستان وسلسلة تفجيرات إستهدفت مدنيين روس في موسكو ولينجراد بيد جماعات بالشيشان خطط لها شامل بساييف إلى إقرار مبدأ الهجوم عليهم وتطهير داجستان منهم وكانت الأخبار تأتي بأن أهل داغستان تسلحوا للقتال ضد الشيشانيين بإعتبارهم وكانت القوات الروسية تجد التعاون من أهل داجستان في طرد اللواء الاسلامي أو ما تبقى منه وعلى رأسهم شامل بساييف إلى الشيشان المنكوبة ، وفعلاً في يوم ٢٦ أغسطس وبعد الإطمئنان على داجستان بدأ الجيش الروسي عمليات صارمة ضد الشيشان الإسلامية وسط إعلان بوتين عدم مشروعية مسخادوف ونظامه الإسلامي وكون شامل ورفاقه إرهابيين ورفضه لأي خطة سلام وعلى حد تعبيره الشيشان حصلت على فرصتها لعامين ونصف وأهدرتها فتلك مسئولية الشيشان.

الإبادة الشيوعية للمسلمين

كان المسلمون يواجهون التصفية على أيدي قياصرة آل رومانوف، حتى

كان الحكم الشيوعي الذي أسقط حكم القياصرة، في نوفمبر سنة ١٩١٧م، وقد خدع قائد الثورة الشيوعي، فلاديمير لينين المسلمين بخطاب وجهه إليهم على أنه سيكون نصراً لهم، وهنا دخل المسلمون في نفق مسدود من خلال الحكم الشيوعي الذي امتد طيلة خمس وسبعين سنة، عانى فيه المسلمون ما عانوه من القتل والتشريد والنفي والظلم وقد مر المسلمون في العهد الشيوعي بأربع مراحل جاءت على الشكل التالي:

1 -مرحلة كسب المسلمين في ولائهم للثورة.

لم تتوقف القوات الروسية عن عمليات القتل والاعتقال والاغتصاب وتدمير الممتلكات ، قتل شامل باسييف في ١٠ يوليو ٢٠٠٦ وقتل ابن الخطاب في ٢٠ مارس ٢٠٠٢ وتولت المخابرات الروسية قتل كل المنتمين للنظام السابق بمن فيهم أصلان مسخادوف في ٨ مارس ٢٠٠٥ بإعتباره متعاون مع شامل وإبن الخطاب وسليم خان باييف الذي تولي خلفاً لأصلان قتلته المخابرات الروسية في الدوحة بقطر في ١٣ فبراير ٢٠٠٤ .

٢-القمع والإبادة من سنة ١٩٢٥- ١٩٤٥م.

٣- بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية مال ستالين إلى التهدئة فأرسل ١٧ حاجاً مسلماً إلى مكة.

٤- عودة التشدد ضد المسلمين من سنة ١٩٥٠م حتى إذا كانت فترة حكم جورباتشوف، فقد بشرت هذه الفترة بانهيار الاتحاد السوفيتي، وقيام دولة روسيا الاتحادية، حيث حصل المسلمون فيها على حقوقهم الدينية والمدنية.

وعصيت على الحكام البلشفيين، مسألة القضاء على الإسلام وأهله، كما استعصت على الحكومة القيصرية من قبلهم، ومع انهيار الاتحاد السوفيتي، وقيام دولة روسيا الاتحادية التي كان للمسلمين في ظلها شأن آخر.

<u>ستالين والشيشان</u>

أسس ستالين لهم جمهورية الشيشان ذات الحكم الذاتي عام ١٩٤٤م، لكنه نفى شعبها كله ما يقرب من مليون نسمة عام ١٩٥٤م إلى سيبيريا تلك البلاد الجليدية المتجمدة، وإلى دول أخرى منها تركيا وذلك بعد أن اتهمهم بالتعاون مع النازية في الحرب العالمية الثانية، وظل الشعب منفياً هناك حتى سُمح له بالعودة عام ١٩٥٧م وإعلان جمهورية تحت الهيمنة الروسية لكنه وضعهم في أتون مخطط لتذويب هويتهم فقد جرَّم

استخدام اللغة العربية وفرض اللغة الروسية وجرَّم التعليم الإسلامي، بل واقتناء المصاحف فضلًا عن ممارسة الشعائر، لكن ذلك كله لم يغيب العقيدة ولم يذب الهوية، وظل الإسلام راسخاً أقوى من تلك الجبال الراسيات هناك بين البحرين: الأسود وقزوين.

وقد مات ٥٠% من شعب الشيشان أثناء هذا التهجير القسرى من الأطفال والنساء بسبب سياسة التجويع حتى الموت، وكانت وسائل التهجير في غاية القسوة فقد جُمع الشعب الشيشاني بأكمله في محطات القطارات دون السماح لهم بحمل أي شيء من المتاع مجردين من كل شيء حتى المال وتحت طلقات الرصاص وتهديد الحراب حشر الناس في عربات القطارات المخصصة لنقل البضائع دون طعام ولا ماء ولا كساء وكل من يرفض تنفيذ الأوامر يقتل مباشرة أمام الناس بوحشية ترهب من يرى ويسمع، أما أهالي الجبال أصحاب العزائم الشديدة فقد جُمعوا في اسطبلات الخيول وسكب عليهم البترول وأُحرقوا أحياء،ومن بين المواقع التي أحرق فيها أعداد لا حصر لها قرية خيباخي التي تم حرق كل سكانها البالغ تعدادها ألف نفس بشرية شيوخًا ونساءاً وأطفالًا.

وبعد تولي خروشوف السلطة بدأت رحلة عودة الشيشان إلي ديارهم في عام ١٩٥٦م ليجدوا أرضهم وبيوتهم قد احتلها الجنس الروسي الأصفر الذي لا يعرف للحياة مذاقا إلا بشرب الخمر والعربدة.

لينين وستالين قتلا وشرّدا ملايين المسلمين

تستغل روسيا الاتحادية اليوم بشكل ظاهر العامل الديني في تحالفاتها السياسية الاقليمية والعالمية الى درجة كبيرة لم تعد تخفى على أحد ولم يعد في الإمكان التغافل عنها بحجة عدم الرغبة في التكلم بمنحى ديني حيال الأحداث السياسية والعسكرية التي كانت موسكو طرفاً فيها منذ انفراط عقد الاتحاد السوفييتي فعلى سبيل المثال، استخدمت روسيا مؤخراً حق النقض الفيتو ضد مشروع قرار قدمته بريطانيا في مجلس الأمن الدولي يطالب بالاعتراف بارتكاب المسيحيين الصرب مجزرة إبادة جماعية فى حق مسلمي البوسنة في منطقة سريبرينيتشا في يوليو عام ١٩٩٥ وتواصل موسكو استخدام هذا الفيتو الذي ورثته من انتصار الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الثانية ضد أي قرار دولي من ِشأنه إدانة بشار الأسد بجرائم حرب وجرائم ضد الانسانية فى بحق المسلمين في سوريا كما نصحت سلطات القرم التابعة لموسكو المسلمين التار في القرم بالرحيل عن ديارهم، الأمر الذي يدفع خبراء الديموغرافيا السياسية ومتتبعي الأحداث العاديين على السواء إلى التساؤل عن سبب العداء الذي تكنه روسيا للمسلمين ويدفعها إلى استهدافهم في كل مناسبة عالمية تطرح داخل محافل منظمة الأمم المتحدة.

بالطبع لا أحد أقدر على اعطاء جواب شاف على هذه التساؤلات أكثر من الادارة الروسية نفسها، ولكن يهمنا تسليط الضوء على العلاقة بين الروس والجاليات المسلمة الموجودة داخل الاتحاد الروسي وفي محيطه الشرق أوروبي والغرب آسيوي من أجل فهم أعمق لطبيعة هذه العلاقة خاصة أن روسيا تخوض اليوم حرباً باردة جديدة ضد الغرب وتحتاج في هذه الفترة بالذات إلى كل نفوذ اقليمي ممكن فلماذا تصر روسيا بقرارات كالفيتو ضد إبادة البوسنيين لإثارة عداء بينها وبين مسلمي الجوار مانحة الدول الغربية الفرصة لإستقطاب تأييد هذه الجاليات في المواجهة الدائرة بين الطرفين؟.

تاريخ الصراعات الطويلة في القرون المنصرمة بين المسلمين والكنيسة الأورثوذوكسية على تقاسم السلطة والنفوذ في المنطقة الأوراسية قد يكون السبب الجوهري للنفور وانعدام الثقة التي لا يزال الروس يشعرون بهما تجاه المسلمين وهو ما يفسر نوعاً ما الاضطهاد الدوري الذي تعرض له المسلمون في الاتحاد السوفييتي السابق والعلاقة السيئة بين الإدارة الروسية الحالية وأغلب الجاليات الاسلامية في شرق أوروبا ونتطرق إلى العلاقة الروسية ـ الاسلامية في شرق أوروبا وغرب آسيا فبعد جولة تاريخية منذ نشأة الامبراطورية الروسية وصولاً إلى أحداث الحرب العالمية الأولى في الجزء الأول، يفصل هذا الجزء الثاني

العلاقة بين الروس والمسلمين خلال العقود السبعة التي عاشها الاتحاد السوفييتي.

عهد لينين وريكوف

سعى البلاشفة خلال تحضير ثورتهم الشهيرة ضد روسيا القيصرية إلى حشد تأييد كبير لهم في أوساط الجاليات المضطهدة من قبل القياصرة والكنيسة الأرثوذوكسية، وفي مقدم هؤلاء الجالية الاسلامية فالبلاشفة عندما وضعوا، ابان الحرب الأهلية الروسية، استراتيجية لبناء دولتهم الجديدة التي أضحت بعد الثورة تعرف بالاتحاد السوفييتي نظروا الى ديموغرافية المناطق المحيطة بموسكو ووجدوا عشرات الملايين من المسلمين الذين قاسوا الأمرين جراء سياسة القمع والتنكيل التي انتهجتها ضدهم الكنيسة والحكم القيصري، وأدركوا أن استقطاب هذه الجالية لدعم ثورتهم سيكون خطوة حاسمة في تحقيق النصر المأمول ضد القياصرة ولعل الخطاب الذي توجه به لينين إلى المسلمين في ٢٤ فوفمبر ١٩١٧ ووزع على شكل منشور وصل إلى كل بيت مسلم في الامبراطورية الروسية خير دليل على مدى الأهمية التي أولاها البلاشفة لكسب تأييد الجالية الاسلامية لكن نداء لينين لم يلق آذانا صاغية لدى كافة مسلمي الامبراطوية، فجزء من هولاء ولا سيما في الشطر الآسيوي كان بدأ منذ عام ١٩١٦ انتفاضة خاصة به ضد القياصرة في ظل

الفوضى الداخلية التي عمت الامبراطورية الروسية ابان الحرب العالمية الأولى ولجوء الجيش الروسي إلى إرغام الشبان المسلمين على الخدمة العسكرية وأبرز الحركات الاسلامية التي حاولت الحصول على استقلال المناطق الاسلامية في آسيا هي الوسطى الحركة البازماشية وحاول المسلمون التركستان في تلك المنطقة بناء دولة مستقلة لهم في مدينة خوقند الواقعة في وادي فرغانة الممتد على طول الحدود المشتركة لثلاث دول تعرف اليوم بأوزبكستان وقرغيزيستان وطاجكستان لكن استقلالهم المزعوم لم يطل أمده، اذ شن البلاشفة هجوماً عنيفاً على خوقند في فبراير١٩١٨ أدى إلى مجزرة ضخمة سفكت فيها دماء نحو ٢٥ ألفاً من المسلمين الانفصاليين وأدت تلك المجزرة إلى غضب عارم في أوساط مسلمين آخرين في تلك المنطقة مما أدى إلى انتفاضة ضد البلاشفة الروس تمكن خلالها المسلمون البازماشيون من استرداد الجزء الأكبر من وادي فرغانة وأغلب أراضي تركستان واستمر البازماشيون في إدارة شئون دويلتهم قرابة الخمس سنوات، لكن البلاشفة بعدما نجحوا في انقلابهم على القياصرة وارساء قواعد دولتهم الجديدة الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٢٢ أمروا الجيش الأحمر بتكثيف حملاته العسكرية على معقل البازماشيين وعمدوا إلى إثارة النعرات القومية في صفوف المسلمين بين قرغيزي وطاجيكي وكازاخي وأوزبكي .

وبحلول عام ١٩٢٣ جف الدعم الذي كانت تلقاه الحركة البازماشية من قبل أهالي المنطقة الذين أغرتهم الوعود الشيوعية بحياة وظروف معيشية أفضل في أحضان الاتحاد السوفييتي وفر قادة الحركة إلى أفغانستان خوفاً على حياتهم من بطش الجيش الأحمر فيما بقيت بعض الفصائل المسلحة التي كانت تشن من حين لآخر هجمات ميليشية ضد الجيش السوفييتي والقوى الامنية واستمر هذا النوع من المناوشات الى حين اختفاء الحركة البازماشية كليا في عام ١٩٣٦.

أما في المناطق الاسلامية الأخرى في الشطرين الأوراسي والأوروبي فأوفى لينين بعهده لبرهة مع الجاليات الاسلامية في تلك المناطق وسمح لهم بطباعة المصاحف وبناء عدد محدد من المساجد وأتاح لهم حرية العبادة إلى حين إلا أن لينين لم يكن الملاك الحارس الذي منى بعض المسلمين كالتتار أنفسهم به فإبان رئاسته حكومة ما كان يعرف قبيل ولادة الاتحاد السوفييتي بجمهورية روسيا السوفييتية الاتحادية الاشتراكية في عامي ١٩٢١ و١٩٢٢ سمح بفرض حصار غذائي على اقليم تتارستان ومنطقة الفولجا والأورال استهدافاً للمسلمين هناك ما أدى إلى مقتل مليوني مسلم جوعاً وفي الأعوام التالية نقل الجيش الأحمر العديد من المواطنين من الروس للاستيطان مكان العائلات المسلمة التي قتلها الجوع ما أدى إلى تغيير ديموغرافي سكاني هائل في تلك المنطقة

التي بعدما كانت نسبة المسلمين فيها نحو ٩٥ في المئة نقصت إلى النصف تقريباً وأصبحت زهاء ٥٠ في المئة وبعد وفاة لينين عام ١٩٢٤ واستلام اليكسي ريكوف إدارة شئون الاتحاد السوفييتي واجه السوفييت تحدياً من نوع جديد في تتارستان حيث انتشرت بعض تيارات الإلحاد مثل اتحاد التتار الذي لا رب له وبدأ هؤلاء يطالبون باستقلال ذاتي لتتارستان داخل الاتحاد السوفييتي مما دفع ريكوف إلى إصدار إوامره باعتقال بعض قادة هذه الحركات وتحجيمها لسببين الأول رفض اعطاء أي خصوصية لتتارستان أو أي اقليم آخر والثاني إعراب حسن نية تجاه المسلمين بأن الالحاد في وسطهم لن يتم اعطاؤه أي ميزة من قبل السلطات السوفييتية.

عهد مولوتوف وستالين

القدر الضئيل من التنفس الذي نعمت به الجالية الاسلامية في عهدي لينين وريكوف سرعان ما انقرض تماماً مع وصول فياشيسلاف مولوتوف إلى رئاسة الحكومة السوفييتية، وان كانت حالة الاضطهاد التي سادت خلال ولاية الزعيم المذكور لم تقتصر فقط على المسلمين انما على طبقة العمال عموماً والمزارعين خصوصاً فقد أمر مولوتوف بجمع المنتجات والمحاصيل بشكل جماعي ووضع أغلب الأموال والعائدات الناتجة عن جهود عامة الشعب في خدمة تسريع آليات التصنيع الروسية

ولا سيما المتخصص منها في القطاع العسكري وضاعف مولوتوف ظاهرة امتصاص الإدارة السوفييتية لطاقات شعبها وثروته في منتصف ثلاثينات القرن المنصرم وذلك في اطار سعيه والأمين العام للحزب الشيوعي جوزيف ستالين إلى إنتاج أسلحة متطورة آملاً في مضاهاة القدرات العسكرية الاستثنائية التي بدأت ألمانيا النازية تتباهى بها وكانت حصيلة عقد من استعباد الشعب السوفييتي بما فيه الجاليات الاسلامية أن ضرب الجوع شرائح واسعة من هذا الشعب ومات منه ما يتراوح بين ٥ ملايين و١١ مليون نسمة في معسكرات العمل حتى الموت التي أمر بإنشائها مولوتوف وستالين في سبيل رفع شأن القدرات العسكرية لدولتهم.

ولم تقتصر معاناة المسلمين في تلك الفترة على إرسال رجالهم إلى معسكرات الموت تلك، بل بدأ ستالين الذي كان الآمر الناهي في تلك الفترة حتى عند وجود مولوتوف في رئاسة الحكومة بين عامي ١٩٣٠ و١٩٤١ بقفل المساجد وتحويلها إلى مخازن لاسيما في منطقة آسيا الوسطى حيث قام الشيوعيون بحرق القرآن والكتب الدينية وقتل رجال الدين ومصادرة الأوقاف وأدى هجوم الشيوعيين على المسلمات اللواتي يرتدين البرقع إلى زيادة شعبية هذا اللباس تحدياً منهن لديكتاتورية موسكو.

ومع استلام ستالين رئاسة الحكومة ابان الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١، اتهم الديكتاتور السوفييتي المسلمين في الاتحاد بالخيانة والتآمر مع النازيين ضد موسكو، فقام خلال عامي ١٩٤٣ و١٩٤٤ بترحيل الجاليات الاسلامية على أنواعها التتار والشيشان والأنجوش والبلغار والأتراك المسخيت والقراشاي من القرم وشمال القوقاز إلى المناطق النائية في سيبيريا أو إلى الاقاليم الاسلامية في آسيا الوسطى وذلك لمنع أي قدرة لهم على التواصل مع النازيين أو أي عدو آخر يشارك في الحرب ضد السوفييت ويقول مؤرخون أن ٣٢ ألف جندي سوفييتي أشرفوا على ترحيل نحو ١٩٦ ألف تتري مسلم من شبه جزيرة القرم ابان احتلال الألمان أجزاء منها إلى آسيا الوسطى وقد قتل قرابة الـ٤٥ في المئة من هؤلاء أي زهاء ٩٠ ألف مسلم خلال عمليات التهجير القسرية تلك .

<u>ستالين أكبر مجرم فى التاريخ الحديث</u>

حسب تقرير KGB الذي أعد سنة ١٩٩١ فإن ٤٢ مليون إنسان قد قُتلوا في أثنـاء حُكم ستالين وفي ليلة واحدة في ١٨ آيار ١٩٤٤ أصدر ستالين قرار بطرد ٤٠٠ ألف مسلم من بلادهم إلى مجاهل سيبريا تمت تصفية نصفهم جسديا في الطريق ولقد قام الشيوعيون إبان فترة حكمهم

بأعمال وحشية، ومذابح رهيبة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً في أحقابه المتطاولة.

ستالين ولينين

ومما تشابه بين لينين وستالين فى اضطهادهم للمسلمين:

قتل الزعماء السياسيين أو نفيهم: ومن أمثال ذلك أن الشيوعيين قتلوا في تركستان الشرقية سنة ١٩٣٤م الحاج خوجه نياز رئيس الجمهورية، ومولانا ثابت رئيس مجلس الوزراء، وشريف حاج قائد مقاطعة (ألتاء) وعثمان أوراز قائد مقاطعة كاشفر ويونس بك وزير الدولة، والحاج أبو الحسن وزير التجارة وطاهر بك رئيس مجلس النواب، وعبد الله داملا وزير الأشغال، وغيرهم كثير ممن لا يتسع المقام لذكرهم وكلما أحس الشيوعيون ببوادر أية حركة قومية أو إسلامية بين التركستانيين قاموا بحملة التصفية، وهي حملة يراد بها القضاء على كل من تحدثه نفسه بما قد يخالف تعاليم آلهة الشيوعيين: ماركس، ولينين، وستالين.

٥- منع المسلمين من التمتع بالنظم الإسلامية في دائرة الأحوال الشخصية: فقد ألغيت المحاكم الشرعية في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا ومعنى ذلك خروج الأسرة من دائرة توجيه الشريعة

الإسلامية إلى دائرة القوانين الشيوعية، التي تنادي بالإباحية التامة، وبانحلال جميع الروابط الطبيعية بين أعضاء الأسرة الواحدة .

إلى جانب نهب الثروات، ونقلها إلى مقاطعات أخرى، وتمزيق أوصال كل بلد إسلامي واحد، وخلق قوميات مستقلة على أساس لهجات لغة واحدة؛ بقصد تشتيت المسلمين في نفس الجنس واللغة، وخلق منازعات مصطنعة بينهم، كما قسموا تركستان إلى ست جمهوريات على هذا الأساس الواهي كما أنهم يقومون بشتى أنواع الدعاية اللادينية من غير أن يسمحوا بالدعاية الدينية ومن أمثال ذلك قيام الشبيبة الشيوعية، وجماعة من الملحدين الرواد بمظاهرات لا دينية صاخبة في مواسم الأعياد، وإهانة كل ما يقدسه المسلمون وإن ينسَ المسلمون فلن ينسوا ما حلّ بأفغانستان وأهلها من مآس، وحروب، وتشريد، وكذلك ما حلّ أخيراً بالشيشان وأهلها .

مأساة بلاد القرم الإسلامية

حينما انتهت الحرب العالمية الثانية قام جيش ستالين بقتل وتصفية كل الذين تعاونوا وتعاطفوا مع الالمان في القرم والقفقاز من المسلمين بل تجاوزت عمليات القتل الذين تعاونوا وسقط مئات الالاف بتهمة أوبدون تهمة أو بدون حاجة إلى تهمه ورغم أن ما حدث يتجاوز العقوبه

المعقوله ويتنافى مع كل القيم والمبادئ الانسانيه والاخلاقيه إلا أن ذلك قد حدث لبعض الشعوب في التاريخ أكثر من مره على يد بعض الطغاة والحاقدين والمستعمرين لكن أولئك الطغاة أمثال جنكيز خان لم يقوموا بنفي وطرد شعب بأكمله من وطنه كما فعل ستالين فبعد التصفيات أصدر مجلس السوفيت الأعلى برئاسة ستالين – في ١٩٤٦/٦/٢٠م- قراراً بإلغاء جمهورية القرم ، وقال القرار: ان شعب القرم خان الدولة السوفيتيه وتعاون مع الألمان وتم نفى شعب القرم المسلم با كمله إلى أرجاء سيبيريه والأورال وأطراف آسيا وتخوم المحيط الهادي فاذا عرفنا أن عدد الذين هربوا لاجئين إلى تركيا من القرميين خلال المراحل السابقة كان أكثر من مليون ومائة وعشرين ألفاً حسب ما جاء في أحد بيانات منظمة اللاجئين القرميين ومع لمحه تاريخيه مع بلاد القرم.

منذ زمن بعيد في الماضي كانت قبائل وشعوب بلاد القرم وما جاورها تعيش في وطنها ذاك كما يعيش سائر البشر في اوطانهم ونظرا لاتصالها بالشام سوريا وجزيرة العرب فقد هاجرت إلى تلك البلاد وسكنتها عشائر وقبائل من العرب الأوائل قبل الإسلام وحينما أشرق فجر الإسلام انطلقت موجات من الهجرات العربية التي حملت رسالة الإسلام إلى بلاد القفقاز فأخذ دين الإسلام ينتشر في تلك الآفاق فأصبحت القرم ولاية اسلاميه في اطار الدولة التيموريه الإسلامية التي كانت عاصمتها

مدينه سمرقند في أوزبكستان ومنذ عام ١٤٢٧هـ تولى امارة خانية القرم أسرة إسلامية حكمها هي أسرة كيراي التي التي كان الزعيم محمد كيراي من ابرز من تولى الحكم فيها، وقد بلغ من قوة امارة القرم في عهد محمد كيراي قيام ذلك الزعيم المسلم بفرض الجزيه على ملك موسكو الروسي واسيلي عام ١٥٢١م ثم قيام الزعيم دولت كيراى بفتح موسكو عام ١٥٧١م ودانت له موسكو .

وفي عام ١٧٨٣م قامت روسيا بغزو بلاد القرم والقضاء على دولتها الإسلامية حيث تذكر المصادر التاريخية {إن الروس هدموا واحرقوا القرم كسروا الاشجار، اخربوا القصور والاماكان العامة والقنوات وكثير من المنازل وبعض المساجد ، ونهبوا اهل القرم . وقتلوا اكثر من ثلثمائة الف من ابناء القرم المسلمين}[1] ويبدو ان المقاومة القرميه للغزاة الروس استمرت وقد ارتبطت القرم بالدوله العثمانية تركيا التي شمل سلطانها البلاد العربية وبلاد القرم وأرجاء من القفقاز وبلغاريا ويوغوسلافيا وألبانيا وغيرهاحتى اندلاع حرب القرم بين الدولة العثمانية تركيا وبين روسيا القيصريه عام ١٨٥٣م وأرسلت مصر جيشاً بريأ من

١ـ أحلام المسلمين في القرم – محمد حرب ص ٤٨

عشرين ألف جندي بقيادة سليم فتحي استجابة لنداء الجهاد والأخوة الإسلامية فاشترك الجيش المصري إلى جانب الجيش العثماني والقرميين في المعارك التي دارت داخل القرم واستشهد سليم فتحي في أوخر الحرب كذلك اشترك الأسطول البحري المصري بقيادة حسن الاسكندراني في المعارك البحرية التي دارت في البحر الأسود وسواحل القرم ثم انتهت حرب القرم لصالح روسيا عام ١٨٥٦م بموجب معاهدة تم ابرامها في باريس [ص٩٢٢- القاموس السياسي] وبذلك استمر الاحتلال الروسي لبلاد القرم إلى أن تحولت روسيا القيصريه الصليبيه إلى الاتحاد السوفيتي الماركسي البلشفي فاصدرت الحكومة السوفيتيه البلشفيه برئاسة لينين في بداية العهد السوفيتى البلشفي [نوفمبر ١٩١٧م] مرسوماً أدى إلى تعاطف المسلمين مع العهد الجديد فلما انتهت الفترة الضروريه لتأمين العهد السوفيتي البلشفي بدأ الناس يدركون أنهم وقعوا ضحية خداع كبير وأن ذلك المرسوم كان تكتيكاً ،وقام البلاشفه في ١٩١٨/١٢/٢٣م باسقاط حكومة القرم وإعدام رئيس جمهوريه القرم جلبى نعمان جهان وإلقاء جثته في البحر وتم تعيين بدلاً عنه حكومه من البلاشفه القرميين المسلمين وتعيين ولى إبراهيم رئيساً لجمهورية القرم ثم أصدرت السلطة السوفيتيه برئاسة لينين قراراً يحدد الوضع السياسي والاداري للقرم بأنها جمهوريه ذات استقلال داخلي كانت الفترة من عام ١٩٢١م

ثم منذ بدايه عهد ستالين الذي تولى الحكم بعد هلاك لينين عام ١٩٢٣م كانت بداية للسنوات الرهيبه التي عاشها المسلمون في البلاد الإسلامية بالاتحاد السوفيتي حيث تم اغلاق المحاكم والمدارس والمؤسسات الإسلامية وغلاق ومصادرة ٢٢٨٠٠ مسجد واعدام وتصفيه مئات الالاف من المسلمين بذريعة معارضتهم لما يحدث وشهدت القرم بالذات تصفية الكثير من المزارعين أثناء تطبيق نظام المزارع الجماعيه وتصفية الكثير من المثقفين والعلماء إلى غير ذلك من أعمال تهدف إلى طمس الهويه القومية والاسلاميه إلى ان اصدرت السلطة السوفيتيه برئاسة ستالين عام ١٩٢٨م أمراً باعدام ولى ابرهيم رئيس القرم وكل أعضاء حكومته وفي عام ١٩٢٩م جرى اعتقال عشرات الآلاف من الموطنين القرميين للقضاء على المعارضة الشعبية القرميه الإسلامية وتم تعيين محمد قوباي رئيساً لجمهورية القرم وقام ستالين بنفي ٤٠٠٠٠ مواطن قرمي إلى منطقة سفردلوفسك في أقصى سيبيريا عند المحيط الهادي حيث تصل درجة البروده إلى ٣٨ درجه تحت الصفر واستمرت سياسة القمع والطغيان في البلاد وكانت سياسة التجويع من ضمن سياسة ستالين والحكومه السوفيتيه الماركسيه ضد شعب القرم المسلم فأعلن الرئيس محمد قوباي رئيس جمهورية القرم احتمال وجود سياسة تجويع متعمده ضد الجمهورية عام ١٩٣١م – ١٩٣٣م

نتجة قيام الدولة بأخذ محاصيل القرم الزراعية وبيعها بالخارج فمات أكثر من ستين ألف من أبناء القرم من الجوع والبرد فلما جاء دور الرئيس محمد قوباي في الاعتراض في أواخر الثلاثينات قام ستالين بنفى محمد قوباي من القرم وفي ١٩٤٠م منع ستالين الكتابة بالحروف العربية واندلعت الحرب يقول كتاب الإمبراطورية المتفجره للكاتبه الفرنسية هيلين كاريز { بينما كان ستالين يواصل قمعه للمسلمين حتى ألغى استخدام الحروف العربية في جمهورياتهم ،وبينما تصاعد الحس القومي لدى المسلمين وشكلوا فرقاً للمقاومه في تلك الظروف نشبت الحرب العالمية الثانية ، واقتحمت القوات الألمانيه حدود الاتحاد السوفييتي.

وكان بعض كبار القادة الألمان يجادلون هتلر قبل بداية الهجوم حول ضخامة الاتحاد السوفيتي وأن الجيش السوفيتي أضعاف القوات الألمانيه المكلفه بالعمليه فرد عليهم القائد الألماني قائلاً ما علينا الا ان نقتحم الباب وسوف ينهار البناء الفاسد على الفور فيما كان الحكم السوفيتي الماركسي بزعامة ستالين يواصل أعمال القمع والاضطهاد ضد المسلمين في القرم وبلاد القفقاز وتركستان ، اندلعت الحرب العالمية الثانية التي كان ستالين في بدايتها على اتفاق مع الزعيم الألماني هتلر فقام ستالين بموجب اتفاق وتنسيق مع ألمانيا الهتلريه النازيه باحتلال وضم بلاد

البلطيق استونيا – ليتوانيا – لاتفيا إلى الاتحاد السوفيتي ثم اعلن هتلر الحرب على روسيا عام ١٩٤١م واعتبر القضاء على الشيوعيه رسالة مقدسه ووعد هتلر الجمهوريات والبلاد الإسلامية التي تحتلها روسيا بالاستقلال ، وأعلنت ألمانيا تشكيل الفيلق الإسلامي – جيش تحرير تركستان– ونادت المسلمين بالانخراط فيه ثم بدأ الهجوم الألماني باحتلال كييف أوكرانيا وفي ٢٥ سبتمبر ١٩٤١م بدأت القوات الألمانيه في الزحف وتحقيق الانتصارات دخل القرم وسيطروا على معظمها في شهر نوفمبر ١٩٤١م ثم تخلت القوات السوفيتيه عن آخر مواقعها في القرم وولت الأدبار عام ١٩٤٢ بينما سيطرت القوات الألمانيه على القفقاز وتقدمت إلى لينجراد وكانت ألمانيا قامت بتسليم السلطة في القرم والقفقاز للزعماء المسلمين الذي تعاطفوا وتعاونوا مع الألمان باعتبار ذلك فرصة لتحرير بلادهم الإسلامية والحفاظ على دينهم وقوميتهم من الضياع وبالفعل بعد أن اقتحمت القوات الألمانيه حدود الاتحاد السوفيتي كانت جماهير الكثير من المدن والمناطق في الاتحاد السوفيتي تستقبل الألمان استقبال المحررين من الاستعمار الروسي واستقبال المنقذين من الطغيان الأحمر والشيوعيه ولم يكن ذلك قاصراً على القرم وعلى جمهوريات ومقاطعات القفقاز وقازان الإسلامية ، وانما حدث في أوكرانيا وملدوفيا ثم حدث في مناطق أخرى بل ان الجيش السوفييتي

نفسه لم يكن بعيداً عن المشاعر الجماهيريه الساخطه على الطغيان ،فحين وصلت القوات الألمانيه إلى مشارف موسكو في أكتوبر ١٩٤١م كان اثنين مليون جندي وضابط سوفييتي قد استسلموا للالمان بأسلحتهم ودون قتال يذكر ثم أثناء حصار القوات الألمانيه لمدينة موسكو كما يذكر كتاب الحرب العالمية الثانية متلأت شوارع موسكو ببطاقات عضوية الحزب الشيوعي التي ألقاها المواطنون في الشوارع كل ذلك شاهد لاتخطئ دلالته على أن البناء الفاسد الذي قام على القهر والطغيان وضد فطرة الإنسان وضد إرادة الشعوب بدأ ينهار بشكل سريع.